[التحذير من مفسدات الحج]

١٨/١١/١٤٤٦هجرية

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِحَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُ حَجَّهُمْ مِنَ الْجِدَالِ وَالرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَسَائِرِ الْآثَامِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لِنِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا بِمَحْضِ فَضْلِهِ مِنْ جَزِيلِ عَطَائِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مَنْ قَالَ: رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى لِيَكُونَ لِلنُّبُوَّاتِ مِسْكَ الْخِتَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَا لَبَّى مُلَبٍّ أَوْ كَبَّرَ مُكَبِّرٌ فِي الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ بُدُورِ التَّمَامِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَصْفِيَاءِ نُجُومُ الِاقْتِدَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اِتَّقُو اللهَ اَلْقَائِلَ[الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ]

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْإِيمَانِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: [اَلْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَقَالُواْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا بِرُّ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ؟ قَالَ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ].

عِبَادَ اللَّهِ: يُعَدُّ هَذَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ أَرْجَى حَدِيثٍ فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَثَوَابِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ حَجُّهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَبُرُورُ الْحَجِّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِخْلَاصِ وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ، وَالْخُلُوِّ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، وَسَائِرِ الْمَنْهِيَّاتِ الَّتِي تُفْسِدُ أَجْرَ وَثَوَابَ الْحَاجِّ، وَالَّتِي لَا تُبْقِي لِصَاحِبِهَا إِلَّا التَّعَبَ.

فَلَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ مَعْنَى الْحَجِّ الْمَبْرُورِ فِي كَلِمَتَيْنِ جَامِعَتَيْنِ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى النَّاسِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَهُمَا خَصْلَتَانِ عَظِيمَتَانِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ، فَيَحْتَرِزُ الْإِنْسَانُ بِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ وَفُضُولِ الْكَلَامِ، وَيَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْجُودِ وَالْإِنْفَاقِ، وَيَمْتَنِعُ عَنْ مُنَافَاتِهَا مِنَ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ وَالطَّمَعِ، وَلَئِنْ كَانَ الْحَثُّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ، فَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا يُنَاقِضُ هَذَا الْقَصْدَ الْعَظِيمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. فَالرَّفَثُ وَالْفُسُوقُ وَالْجِدَالُ مِنْ مُفْسِدَاتِ الْحَجِّ، وَمُفْسِدَاتِ الْقُلُوبِ الَّتِي تَشْغَلُ الْحَاجَّ وَغَيْرَ الْحَاجِّ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَتَنْهَارُ بِهَا الْعَلَاقَاتُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَقْضِي عَلَى الْوُدِّ بَيْنَهُمْ، وَيَحِيدُ الْحَاجُّ بِسَبَبِهَا عَنْ إِدْرَاكِ مَقَاصِدِ التَّجَرُّدِ

وَالتَّوْحِيدِ، فَيَنْحَصِرُ الْأَمْرُ عِنْدَهُ فِي الْمَظْهَرِ دُونَ الْمَخْبَرِ، وَيَنْسَى التَّجَرُّدَ مِنْ كُلِّ سُلُوكٍ يُفْسِدُ عَلَيْهِ حَجَّهُ، وَالْحَالُ أَنَّ عَلَيْهِ مُجَاهَدَةَ نَفْسِهِ سَوَاءٌ كَانَ حَاجًّا أَوْ غَيْرَ حَاجٍّ، وَيَتَحَلَّى بِمَا يَلِيقُ بِشَرَفِ الْعِبَادَةِ وَمَكَانِهَا وَزَمَانِهَا، مِنْ آدَابٍ وَأَخْلَاقٍ تُحَقِّقُ لَهُ ثَمَرَاتِ الْحَجِّ وَحِكَمَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: [مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ].وَهَذَا الْحَدِيثُ يُبْرِزُ لَنَا مَعْنًى عَظِيمًا فِي عِبَادَةِ الْحَجِّ، ذَلِكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ لِلذِّكْرِ وَالتَّحَلِّي بِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ، وَتَطْهِيرِ الْقَلْبِ مِنَ الشَّوَائِبِ وَالْأَدْرَانِ، حَتَّى شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ مُوَفَّقٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِمَا عَلَيْهِ حَالُ الصَّبِيِّ يَوْمَ وِلَادَتِهِ مِنْ أَخْلَاقِ الْفِطْرَةِ وَصَفَائِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ شَرْعًا أَنَّ الْحَجَّ عِبَادَةٌ بَدَنِيَّةٌ وَمَالِيَّةٌ، فَأَمَّا كَوْنُهُ عِبَادَةً مِنْ جِهَةِ الْبَدَنِ: فَبِإِقَامَةِ الْأَرْكَانِ، وَحِفْظِ الْجَوَارِحِ، وَالتَّحَلِّي بِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ عِبَادَةً مِنْ جِهَةِ الْمَالِ: فَبِالْجُودِ فِي إِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَحَرِّي الْكَسْبِ الْحَلَالِ فِيهِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: [إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا]. وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا حَجَجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنَسٌ

فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ

مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ

فَدِينُنَا الْحَنِيفُ يُرَبِّينَا عَلَى إِصْلَاحِ الْحَالِ، وَعَلَى تَحَرِّي الْكَسْبِ الْحَلَالِ، اَلَّذِي يُجَنِّبُنَا الْوُقُوعَ فِي آفَةِ الظُّلْمِ وَالْغِشِّ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، أَلَا فَاتَّقُواْ اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ -، وَوَطِّنُواْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَغَفَرَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، اَلْمُتَفَضِّلِ عَلَى عِبَادِهِ بِجَزِيلِ النِّعَمِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلُوهَا، اَلْمُجْزِي عَنِ الْأَعْمَالِ بِمُجَرَّدِ نِيَّةِ الْهَمِّ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اِتَّبَعَ هُدَاهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

عِبَادَ اللَّهِ: مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُفْسِدَةِ لِأَجْرِ الْحَجِّ، وَالْمُفْسِدَةِ لِلْعَلَاقَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ: اَلْأَنَانِيَّةُ وَالْإِفْرَاطُ فِي حُبِّ النَّفْسِ، فَيَحْتَاجُ النَّاسُ مَعَهَا إِلَى صَبْرٍ كَبِيرٍ يُضِيفُونَهُ إِلَى صَبْرِهِمْ،

وَيَحْتَاجُ الْحَاجُّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ إِلَى صَبْرٍ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَقَعَ فِي مَحْظُورِ الشَّرْعِ، بِمَا يَجِدُهُ مِنْ أَذًى عِنْدَ الْآخَرِينَ.

إِنَّ خُلُقَ الصَّبْرِ خُلُقٌ نَبِيلٌ، فَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ شِدَّةٍ، وَطَرِيقُ كُلِّ فَرَجٍ، وَالْغَضَبُ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، فَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: [أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ]. وَرُوِيَ عَنْهُ كَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: [لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ – أَيْ: الْقَوِيِّ الَّذِي يَصْرَعُ النَّاسَ -، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ]. مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي تَرْكِ الْغَضَبِ، وَامْتِلَاكِ زِمَامِ النَّفْسِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ إِحْسَانَ الْعِبَادِ فِي أَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، وَعُمُومِ الطَّاعَاتِ فِيهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى التَّقْوَى، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ.

فَبِاسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ تَسْتَقِيمُ الْجَوَارِحُ، وَبِاسْتِقَامَةِ الْجَوَارِحِ يَظْهَرُ الصَّلَاحُ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَهُوَ مَطْلُوبٌ شَرْعًا لِبُلُوغِ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي وَعَدَنَا اللَّهُ بِهَا، جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

هَذَا وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، اَللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، خُصُوصًا اِلْأَنْصَارَ مِنْهُمْ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ عَبْدَكَ الْخَاضِعَ لِجَلَالِكَ وَسُلْطَانِكَ، ولِيَّ أمْرِنا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَرِيْفَيْنِ،نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَاحْفَظْهُ اللَّهُمَّ بِحِفْظِ كِتَابِكَ، وَأَقِرَّ عَيْنَهُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، وَارْحَمِ اللَّهُمَّ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَاغْفِرِ اِللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، اَلْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، اَللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّار، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.